

تأليف
العلامة الشيخ علي سلطان محمد القاري
ت : ١٠١٤هـ

علق عليها وخرج أحاديثها
مشهور حسن سلمان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾

اللهم اجعل عملي كلهِ صالحاً ، ولـوجهـك خـالصـاً ، ولا تجعل فيه لأحد شيئاً .

تَطْهِيرُ الطَّوِيَّةِ

بِتَحْسِينِ النِّيَّةِ

الطبعة الأولى
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

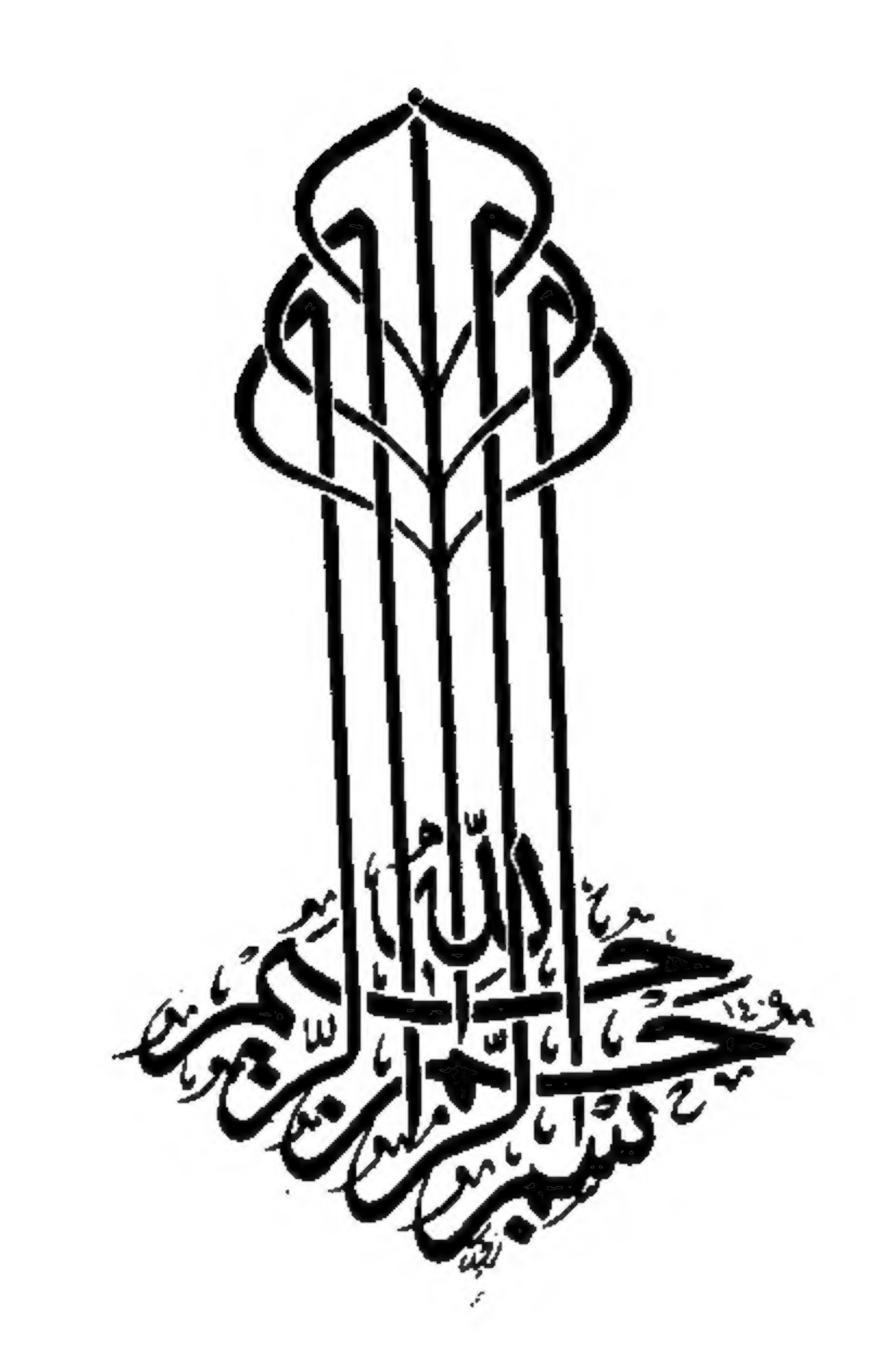
المكتب الإسلامي
بيروت: ص.ب ١١/٣٧٧١ - هاتف ٤٥٠٦٣٨ - برقيًا: إسلاميًا

دار عمار
الأردن - عمّان - سوق البتراء - قرب الجامع الحسيني
ص.ب ٩٢١٦٩١ - هاتف ٦٥٢٤٣٧

أمل

«وددتُ أنه لو كان من الفقهاء من ليس له شغل إلا أن يعلم الناس مقاصدهم في أعمالهم ، ويقعد للتدريس في أعمال النيّات ليس إلا ، فإنّه ما أتى على كثير من الناس إلا مِنْ تضييع ذلك»

ابن أبي جمرة


بسم الله الرحمن الرحيم

مقـدمة المحـقق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وَبَعْـد

فهذه الرسالة الثانية[1] مـن رسـائـل العلامـة المحقـق والفهامة المدقق الشيخ علي بـن سلطـان محمـد القـاري رحمه الله تعالى، عالج فيها مقاصد المكلّفين عموماً، ومقاصد طلبة العلم على وجه الخصوص من ضرورة العناية بالنيات وتقويمها وتشذيبها ورعايتها.

وتعرض فيها مصنّفها إلى حديث «نية المؤمن خيرٌ من عمله» وأورد استشكالاً عليه ودفعه ببيان أوجه تفضيل النيـة على العمـل، ومـن ثـم تعـرض للـرد على سـؤال المشككين لم لا يعذِّبُ اللهُ الكفارَ مدةً من الزَّمن بمقدار كفرهم؟ ومن ثم ذكر فضيلة النية في الكتاب والسنة،

---

(١) والرسالة الأولى هي «الذخيرة الكثيرة في رجاء المغفرة للكبيرة»

وتعرض بعد ذلك إلى أن المعاصي لا تتغير عن موضوعاتها بالنية، وإلى خطورة الشهوة والهوى، وإلى مدح العلم وذم الجهل، وإلى علماء السوء، وإلى تفقّد علماء السلف أحوالَ مَنْ يتردد إليهم، وإلى معنى قوله ﷺ: «الأعمال بالنيات» وذكر أنّ الطاعات تحتمل نيّاتٍ كثيرةً، ومثّل عليه بالقعود في المسجد، والنيات التي يحتملها، وذكر ثمانية وجوه يمكن للعابد أن ينويها، وإلى أن المباحات تصير من القربات إنْ صحبتها نية، ومثّل على ذلك، وبيّن أن النية غير داخلة تحت الاختيار، وإلى معنى النية الإصطلاحي وأصلها اللغوي، وذكر اقسام نيات الناس في طاعاتهم. وختمها بآفات عدم تصحيح النيات، وشَرْطَيْ أخذ طلبة العلم الوظيفة، وبشكواه من علماء السوء.

⋆ النسخة المعتمدة في التحقيق

اعتمدتُ في تحقيق هذه الرسالة على نسخة مصورة ضمن مجموع موجود في المدرسة الأحمدية، بمدينة حلب، برقم «٢٦٦٨ عام»، فيه ست وخمسون رسالة للمصنف ورسالتنا هذه هي الرسالة الثامنة من المجموع.

وهي تقع في (١١) لوحة.

في كل لوحة صفحتان.

في كل صفحة (١٩) سطراً.

وخطها واضح ومقروء، وكتبت سنة ١١٩٦هـ.

جاء في أولها :-

«بسم الله الرحمن الرحيم، ربّ زدني علماً يا كريم، تطهير الطويّة بتحسين النية، الحمد لله العالم بالعمل والنيّة، ..»

وفي آخرها:

«طيب الله أرزاقنا، وحسن أخلاقنا، ووفقنا لتحصيل العلم النافع، والعمل الصالح، المقرونين بالإخلاص، وحسن الخاتمة، التي هي مطلوبة العوام والخواص، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين».

★ **نسبة الرسالة لمؤلفها:**

نسب هذه الرسالة للشيخ علي القاري، جماعة، منهم:

اسماعيل باشا البغدادي في «إيضاح المكنون»: (٢٩٤/١) و«هدية العارفين» (٧٥٢/١) وخليل ابراهيم قوتلاي في كتابه «الإمام علي القاري وأثره في علم الحديث»: (ص١٥٧).

* عملي في التحقيق

يتخلص عملي في تحقيق هذه الرسالة بما يلي:ـ

١ ـ قمتُ بنسخ المخطوط، وضبطتُ نصّه.

٢ ـ وضعت عناوين فرعية للرسالة، توضح مباحثها، وتبرز أفكارها وفصولها وما احتوت عليه، وميزت هذه العناوين بوضعها بين معقوفتين.

٣ ـ خرجت الأحاديث النبوية من مصادرها الأصلية، وذكرت أقوال أهل الحديث في مرتبتها: صحةً وحسناً وضعفاً.

٤ ـ رجعتُ إلى المصادر التي نقل منها المصنف وأثبت ذلك في الهامش، وتممتُ النقص ـ إنْ وجد ـ منها، ووضعته بين معقوفتين أيضاً، ونصصتُ عليه.

٥ ـ علقتُ على ما رأيته ضرورياً.

٦ ـ ألحقت مع الرسالة فهارس تيسر على القارىء الوقوف على مبتغاه منها.

وأخيراً.. الله أسأل أن يجعل عملي كله خالصاً له عز وجلّ، أنتفع به غداً يوم الحساب، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه

مشهور حسن سلمان

١٥/شعبان/١٤٠٩هـ.

بعون الله وحسن توفيقه وتأييده في الحرم الشريف المكي بعد هجرة النبي المصطفى
في شهر شوال ختم بالخير والإقبال عام اربع بعد الف ختم الله لنا بالحسنى
وبلغنا المقام الاسنى آمين يارب العالمين تمت

تطريز الصوفية بسم الله الرحمن الرحيم رب زدني علما بأكرم تحسين النية

الحمد لله العالم بالعمل والنية والصلوة والسلام على خير البرية وعلى آله وصحبه
وتابعيه بحسن الطوية اما بعد فقد ورد نية المومن خير من عمله قال الزركشي
سنده ضعيف وقال العراقي رواه الطبراني من حديث سهل بن سعد ومن حديث
النواس بن سمعان وكلاهما ضعيف انتهى ورواه العسكري في الامثال والبيهقي في
شعب الايمان عن انس رضي الله عنه ولفظه نية المؤمن ابلغ من عمله وفي رواية
وان الله عز وجل ليعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله والحاصل انه لطرقه
يتقوى بمجموعها ويترقى الى درجة الحسن ثم لا شك ان العمل بدون النية لا خير فيه
فيشكل الحديث بانه يلزم منه تفضيل الشيء على نفسه وغيره واجابوا عنه باجوبة منها
ان خير ليست بمعنى افعل التفضيل وان المعنى نية المومن خير من جملة الخيرات
كما ان عمله من جملة المبرات وانه من قبيل العسل احلى من الخل والصيف احر من
الشتاء وهو ضعيف اذ مثل هذا التاويل انما يقال فيما لا يتصور فيه اصل المشاركة
بوجه ولا ريب ان النية كما انها من الخيرات فكذا العمل من الخيرات فلا يفيد الكلام
زيادة افادة فلا يصح حمل الحديث عليه ومنها ان ضمير عمله يعود لكافر معهود وقصته
السابق لبناء قنطرة اخبر بعزم مسلم على بنائها وحضرها لكنه بعيد لفظا ومعنى

صورة اللوحة الأولى من المخطوط

طيب الله اوقاته وحسن لنا التفصيل العلم النافع والعمل الصالح

المقرونين بالاخلاص وحسن الخاتمة التي هي مطلوبة العوام والخواص

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين والحمد لله رب العالمين

المقدمة رسالة بسم الله الرحمن الرحيم رب زدني علما يا كريم في جزء الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا الى الصراط المستقيم ودلنا الى الطريق القويم والسلام

على من خلق بالخلق العظيم وجبل بالقلب السليم وعلى آله واصحابه واتباعه و

احزابه واصحابه الكريم وارباب التعظيم اما بعد فيقول الملتجئ الى حرم ربه البارئ

علي بن سلطان محمد الهروي خادم كتاب الله القديم وحديث نبيه النبيه

الصميم ان الله سبحانه قال أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون

اي الذين خسروا انفسهم بالكفر وترك النظر والتأمل في الامر ومكر الله استعارة

لاستدراج العبد بالآلاء والنعماء واخذه من حيث لا يشعر بالبلاء والضراء و

وهذا من جملتها الكرامات لبعض الاولياء وقال عز وجل انه لا ييأس من روح الله

الا القوم الكافرون فالواجب على كل مؤمن ان يكون بين الخوف والرجاء والقبول

والرد في الانتهاء وهو لا يختص بانه بحسب الظاهر في صورة [illegible] وفي سيرة الصلحاء

وكذا لا قنط من رحمة الله تعالى ولو كان في طريق الفسقة او الجهلاء فان المدار

على الخاتمة اللاحقة على وفق ما جرى به القلم في الساعة السابقة وقد جاء

في السنة حديث صحيح رواه اصحاب الكتب الستة عن ابن مسعود رضي الله

عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان احدكم يجمع خلقه في بطن امه اربعين

يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله

صورة اللوحة الأخيرة من المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العالِم بالعمل والنيّة، والصلاةُ والسلامُ على خير البريّة، وعلى آله وصحبه وتابعيه بحسن الطويّة.

أما بعد:

[حديث: «نية المؤمن خير من عمله»]

فقد ورد «نية المؤمن خير من عمله»

قال الزَرْكشي: سنده ضعيف[1].

وقال العِرَاقيُّ: رواه الطبراني من حديث سهل بن سعد و من حديث النوّاس بن سمعان، وكلاهما ضعيف[2]. انتهى.

---

(١) التذكرة في الأحاديث المشتهرة: (ص٦٥)

(٢) تخريج أحاديث إحياء علوم الدين: (٣٦٦/٤).

وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»: (٢٢٨/٦) رقم (٥٩٤٢) والخطيب في «تاريخ بغداد»: (٢٣٧/٩) وأبو نعيم في «حلية الأولياء»: (٢٥٥/٣) والديلمي في «الفردوس»: (٢٨٥/٤) رقم (٦٨٤٢) من حديث سهل بن سعد رضي الله= عنه.

ورواه العسكري في «الأمثال» والبيهقي في «شعب الإيمان» عن أنس رضي الله عنه ولفظه «نية المؤمن أبلغ من عمله».

= قال الهيثمي في «المجمع»: (٦١/١، ١٠٩):
«رجاله موثوقون إلا حاتم بن عباد بن دينار، لم أر من ذكر له ترجمة» وأطلق العراقي أنه ضعيف من طريقه.

وانظر. «فيض القدير»: رقم (٩٢٩٦).

وأخرجه الخطيب في «التاريخ»: (٢٣٧/٩) وأبو نعيم في «الحلية»: (٢٥٥/٣) والقضاعي في «مسند الشهاب»: رقم (١٤٨) من حديث النواس بن سمعان، بسند فيه مجهول.

وأخرجه من حديث أنس بن مالك: القضاعي في «مسند الشهاب» رقم (١٤٧) والعسكري في «الأمثال» والبيهقي في «شعب الإيمان» وقال عقبة: «إسناده ضعيف»

وقال ابن دحية: لا يصح.

وأخرجه الديلمي في «الفردوس»: (٢٨٦/٤) رقم (٦٨٤٣) من حديث أبي موسى الأشعري.

وذكر السخاوي في «المقاصد الحسنة»: (٤٥٠) شواهد له، وقال: «وهي وإن كانت ضعيفة، فبمجموعها يتقوى الحديث».

وانظر «ضعيف الجامع الصغير»: رقم (٥٩٨٩) و «كشف الخفاء: (٣٢٤/٢) و «الفوائد المجموعة»: (٢٥٠) و «تذكرة الموضوعات»: (٢١٨) و «الدرر المنتثرة»: رقم (٤٢٦) و «تمييز الطيب من الخبيث»: (١٨٠) و «الأسرار المرفوعة» للمصنف: رقم (٥٦٨).

وفي رواية زيادة:

«وإن الله عزَّ وجلَّ ليعطي العبد على نيته مالا يعطيه على عمله»[1].

والحاصل: أنَّ له طرقاً يتقوى بمجموعها، ويرتقي إلى درجة الحسن[2].

[استشكال ودفعه وأوجه تفضيل النية على العمل]★

ثم لاشك أن العمل بدون النية لا خير فيه، فيشكل الحديث بأنه يلزم منه تفضيل الشيء على نفسه وغيره، فأجابوا عنه بأجوبة منها:

أن «خير» ليست بمعنى أفعل التفضيل، وأن المعنى: نية المؤمن خيرٌ من جملة الخيرات، كما أنّ عمله من جملة المبرات، وأنه مِنْ قبيل: العَسَلُ أحلى من النحل، والصيفُ أحرُّ من الشتاء.

---

(١) مضى تخريجه، وسنده ضعيف، قاله المصنف في «الأسرار المرفوعة»: (ص ٣٥٩).

(٢) وكذا قال السخاوي في «المقاصد الحسنة»: (٤٥٠).

★ ذكر بعض الوجوه التي عند المصنف: ابن الملقن في «شرح العمدة» كما في «كشف الخفاء». (٢/٤٣٠).

وهو ضعيف، إذ مثل هذا التأويل، إنما يقالُ فيما لا يُتَصور فيه أصلُ المشاركة بوجهٍ، ولا ريب أن النية كما أنها من الخيرات فكذا العمل من الخيرات، فلا يفيد الكلامُ زيادة إفادة، فلا ينبغي حمل الحديث عليه.

ومنها: أن ضمير (عمله) يعود لكافر معهود، وهو السابق، لبناء قنطرة [أو] حفر بئراً[1]، عزم مسلمٌ على بنائها أو حفرها، لكنه بعيدٌ لفظاً ومعنىً.

أما لفظاً: فلعدم الدلالة على المرجع في الكلام، فيصير من باب التعمية والألغاز، وهو مخلٌ في الاعجاز، وغيرُ مناسبٍ لكلام من يبيِّن للناس، فيننره عنه.

وأما معنى: فإنه لا خير في عمل الكافر إما لعدم شرط صحة العمل، وهو الإيمان، وإما لعدم اقتران حسن النية به.

مع أن المعنى المذكور على تقدير يرجع الضمير إلى المؤمن، يفهم بطريقة البرهان، فإنّ نيةَ المؤمن إذا كانت[2] خيراً من عمل المؤمن، فبالأولى أن تكون خيراً[3] من عمل الكافر.

---

(١) في الأصل: «أحفر بئر»!!
(٢) في الأصل: «كان»!
(٣) في الأصل: «خير»!

نعم، مفهومهُ: أن عمل الكافر خيرٌ من نيته، وهو كذلك فإنّ الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، وهذا الأمر في المنافق ظاهر.

ومنها: أنّ نية المؤمن من خيار عمله على تقدير مضاف، وسَبَقَ أنّه لا فائدةَ تحته.

ومنها: أنّ نية المؤمن خير ناسيء من عمله، وهو قريب مما تقدّم.

ومنها: أنّ نيّة المؤمن خيرٌ من عمله بلا نيّة، وفيه أنه لا خير في عمل بلا نيّة، فكيف تكون النيّة خيراً منه؟ وظاهر الترجيح للمشركين في أصل الخير.

ومنها: أنّ أحد جزئي العمل، - وهو-النيّة أفضل من الآخر الذي وجدَ مقْروناً بها.

وحاصلهُ: أنّ هذه الماهيّة خيرٌ من تلك الماهية.

والمعنى به: أنّ كل طاعة تنتظم بنيةٍ وعمل، كانت النيّة من جملة الخيرات، وكان العملُ من جملة الخيرات، ولكن النيّة من جملة الطاعة: خيرٌ من العمل، أي: لكلِّ واحدٌ منهما أثرٌ في المقصود، وأثرُ النيّة أكثرُ من أثر العمل[1].

فمعناه: نيّة المؤمنِ من جملة طاعته خيرٌ من العمل

(١) في الأصل: «عمل»!

الذي من جملة طاعته، والغرَضُ: أن للعبد اختياراً في النية وفي العمل، فهُما عملان والنيّةُ من الجملة خَيرهما فهذا معناه، وأما كونها خيراً ومُتَرَجّحاً على العمل، فلما سيأتي.

ومنها: أنّ النية خيرٌ من عمله، لكونها مُصَحِّحةً للعمل تارةً، كما في العبادات المستقلة، من الصلاة والصوم ونحوهما، ومفيدةٌ للثواب تارة، كما في شروط العبادات، من نحو الوضوء، وستر العورة، ومُحَسِّنة [تارة] أخرى كما في المباحات.

وحاصله: أن النية هي أحدُ جزئي العبادة، فهي تتوقف عليها توقفها على العمل، وهي خيرُهما، ويتوقَّف نفع العمل عليها دون العكس.

ومنها: أن مكانها مكانُ المعرفة، أعني:القلب المؤمن.

قال سهيل بن عبد الله التستري، قدّس الله سرّه العَلِيّ:ـ ما خلَقَ الله تعالى مكاناً [أعزَّ][1] وأشرف عنده من قلبِ عبدهِ المؤمن، كما أنه ما أعطى كرامةً للخلق أعزَّ عنده من معرفته[2]، فجعل الأعزَّ للأعزِّ فما نشأ من أعزِّ الأمكنةِ يكونُ أعزّ مما نشأ منْ غيرهِ.

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من الأصل.

(٢) أي: معرفة الحق عز وجل.

قالَ: فتَعِس عبدٌ أشغلَ المكان الذي هو أعزّ الامكنة عندهُ تعالى بغيره سبحانه[1]، وفي حديث:

«أنا عند المنكسرة قلوبهم والمندَرِسة قبورهم»[2].

«وما وسعني أرضي ولا سمائي، ولكن وسعني قلبُ عبدي المؤمن»[3] إشعار بذلك. انتهى.

---

(١) ذكره المصنف في «الأسرار المرفوعة»: (ص ٣٦) وهو عند ابن الملقن في «شرح العمدة» كما في «كشف الخفاء»: (٤٣٠/٢).

(٢) ذكره المصنف في «الأسرار المرفوعة» رقم (٧٠) وقال: «لا أصل له».

وانظر: «المقاصد الحسنة: (٩٦) و «تمييز الطيب من الخبيث»: (٣٣) و «كشف الخفاء»: (٢٠٣/١).

(٣) قال المصنف في «الأسرار المرفوعة»: رقم (٤٢٣).

«ذكره في الاحياء: (١٤/٣)، وقال العراقي (في «المغني عن الأسفار»: (١٤/٣) لم أر له أصلاً. وقال ابن تيمية (في «احاديث القصاص»: رقم (١) هو مذكور في الإسرائيليات، وليس له إسناد معروف عن النبي عليه الصلاة والسلام. وفي «الذيل»: وهو كما قال. ومعناه: وسع قلبه الإيمان بي وبمحبتي، والا فالقول بالحلول كفر، وقال الزركشي: وضعه الملاحدة».

وانظر: «المقاصد الحسنة»: (٣٧٣) و «الدرر المنتثرة»: (٣٦٣) و «تمييز الطيب من الخبيث»: (١٤٦) و «كشف الخفاء»: (١٩٥/٢) و «الغماز على اللماز»: (٢٧٦) و «التذكرة=

وحاصلهُ: أن النيّة مِن عمل الباطن، وهو أفضل من عمل الظاهر.

ويؤيِّدهُ: ما ورد في الحديث:

«إنّ الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم [ولكن ينظر إلى قلوبكم][1] ونيّاتكم»[2].

ويقويه حديث:

«إنّ في الجسد لمضغةً، إذا صلحت صلح لها سائر الجسد»[3].

=في الأحاديث المشتهرة» (ص١٣٥، ١٣٦) و «تنزيه الشريعة»: (١٤٨/١) و «تذكرة الموضوعات»: (٣٠).

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٢) أخرجه مسلم في «الصحيح» كتاب البر: باب تحريم ظلم المسلم: (١٩٨٦/٤، ١٩٨٧) وأحمد في «المسند»: (٢٨٥/٢، ٥٣٩) و «الزهد»: (٤٦) وابن ماجة في «السنن». (١٣٨٨/٢) وغيرهم.

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري في «الصحيح»: (٢٩٠/٤) رقم (٢٠٥١) ومسلم في «الصحيح»: (١٢٢٠/٣) وأبو داود في «السنن»: (٢٤٣/٣) والترمذي في «الجامع»: (٥٠٢/٣) والنسائي في «المجتبى»: (٢١٣/٧) وابن ماجة في «السنن»: (١٣١٨/٢) والدارمي في «السنن». (٢٤٥/٢) وأحمد في «المسند» (٢٦٧/٤).

وقال تعالى: ﴿لَنْ ينالَ الله لُحُومها ولا دِماؤُها ولكنْ يَنالُهُ التقوى مِنكُمْ﴾[1]. وهي صفة القلبِ، وهو: مَيْلُهُ إلى الخير، وانصرافه عن الهوى، وإعراضه عن الدنيا، وهي غاية الحَسنات.

فمن هذا الوجه: يجب أن تكونَ أعمالُ القلبِ على الجملة أفضل من حركات الجوارح.

ثم يجب أن تكون النيّة من جملتها أفضلَ، لأنّها عبارة عن مَيْلِ القلبِ إلى الخير وإرادته له.

ومنها: أنّ النية لا يشوبها الرِّياء، والعمل قد يُخالطه وكذا ورد:

«الصوم لي، وأنا أجزي به»[2].

وقد ورد: أنّ عمر رضي الله عنه، رأى أعرابياً لم يُحسنِ الصلاة، فحمل عليه الدرَّة، ثم علّمه كيفية الصلاة، وأمره بأن يُصلِّي ثانياً، فلما فرغ منْ صلاته، قال له: أهذه أحسن أو الأولى، فقال: بل الأولى، فإنها

---

(١) سورة الحج: آية رقم (٣٧).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح»: (١٠٣/٤) رقم (١٨٩٤) وغيره.

كانت خالصةً لله، وأما هذه فمن خوف، فتبسم عمر رضي الله عنه[1].

ومنها: أنّ نية المؤمن لوجود الإخلاص والصدقِ فيها خيرٌ منْ عمله، بخلاف المنافق، فإن عمله خيرٌ من نيته. أي: في الصورة.

ومنها: أنّ النيَّة بانفرادها تصيرُ عبادةً يترتبُ عليها الثّواب لخبر: «مَنْ همَّ بحسنةٍ فلم يعملها كتبها الله عنده...»[2]

بخلاف العمل، فإنّه لا يترتب عليه الثواب إلاّ بالنية لخبر:

---

(١) ذكرها المصنف في «الفصول المهمة في حصول المتمة»: (ص٢١ - منسوختي).

(٢) أخرج البخاري في «الصحيح»: (٣٢٣/١١) ومسلم في «الصحيح»: (١١٨/١) من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال: قال اللهتعالى: «إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة، فلم يعملها، كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم به فعملها، كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها، كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها. كتبها الله له سيئة واحدة».

«إنما الأعمال بالنيات»[1] .

ولا يعارضه قوله: (ومنْ عملها كُتِبتْ له عشرة)[2].

الموهم أنّ العملَ خيرٌ منها لأن كتابة العشر ليستْ على العمل وحده، بل معها، بل بها، فإنها شرطُ لصحته، وهو ليس شرطاً لصحتها، فلولاها لما كان له وجود أصلاً ويثاب على النية المجرّدةِ.

روي أن رجلاً في بني اسرائيل مرّ بكثبان رملٍ في مجاعةٍ، فقال في نفسه، لو كان هذا الرمل طعاماً لقسمته بين الفقراء، فأوحى الله إلى نبيهم: قلْ لَهُ: إن الله قد صدقك، وشكر حُسنَ صنيعك وأعطاك ثواب ما لو كان طعاماً فتصدقت به.

وكذا ما وقع لبعض الملوك لما رأى عَسكره عظيماً،

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»: (٢/١، ٢٠) و (١١٩/٣) و (٢٥٢/٤) و (١١٨/٦) و (٢٣١/٧) و (٥٩/٨) ومسلم في «الصحيح»: (١٥١٥/٣) وأبو داود في «السنن»: (٢٢٠١) والترمذي في «الجامع» رقم (١٦٤٧) والنسائي في «المجتبى»: (٥٨/١) و (١٥٨/٦) و «السنن الكبرى» كما في «تحفة الاشراف»: (٩٢/٨) وابن ماجة في «السنن»: (٤١٣/٢) رقم (٤٢٢٧) وأحمد في «المسند»: (٢٥/١ و ٤٣) وغيرهم.

(٢) مضى تخريجه.

وتمنى أنه لو كان في حياة النبي ﷺ لجاهد في ركابِهِ، مع جملة أصحابه فرأى في النوم أنه قُبِلَ منه، وأُعطي ثوابه.

ونقل الأستاذ أبو القاسم القشيري أن زبيدة رؤيت في المنام فقيل لها: مافعل الله بك؟ فقالت: غفر لي، فقيل لها بكثرة عمارتك الآبار والبرك في طريق مكة، وإنفاقك عليها؟ فقالت: هيهات! ذهب ذلك كله إلى أربابِ الأموال وإنما نفعنا النياتُ.

وقد جاء في مَنْ تمنَّى أن لو أصاب مالاً ينفق في المعصية، أنه شريك المنفق فيها في الوزر.

وورد في المقاتلين[1]: أنّ القاتل والمقتول في النار وبيّن علّة المقتول: أنه قصد قتلَ أخيه أو أراد الرياء.

وقد وقع الإجماع: على إثم المجامع امرأته على قصد أنها غيرها، بخلاف المجامع غيرها على قصد أنها هي.

---

(١) أخرج البخاري في «الصحيح»: (٨٤/١، ٨٥) رقم (٣١) ومسلم في «الصحيح»: (٢٢١٣/٤، ٢٢١٤) رقم (٢٨٨٨) من حديث رسول الله ﷺ: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما. فالقاتل والمقتول في النار. قيل: يا رسول الله: هذا القاتل فما بال المقتول؟!

قال: إنه كان حريصاً على قتل صاحبه».

وعلى إثم المصلي المتوضيء على ظن أنه مُحدث بخلاف المحدثِ على ظنِ أنه متوضيء.

ومنها: أنّ النية تمتّد إلى مالا نهاية له، والعمل محصور.

وحاصله: أنها تبقى مستمرة بخلاف العمل فإنه ينقطع بالموت، ولذا قيل:

«إنّ دخول الجنة بفضلهِ تعالى، ودرجاتها بحسب الأعمال، والخلود بالنية ودخول النار بعدله سبحانه، ودركاتها بمقابلة الأعمال، وخلودها بالنية»[1].

[لمَ لا يعذب الله الكفار مدة من الزمن بمقدار كفرهم]

وبه يندفع الإشكال المشهور، وهو: أن الكافر اذا عاش سبعين سنةً في الكفر،فمقتضى ظاهر العدل أنه لا يعذب أكثر منْ ذلك.

فأجيب بأن خلودهُ باعتبار نيّته الخبيثة، أنّه لو عاش أبدَ الآبدين، لكان مستمراً على وصف الكافرين والمنافقين.

---

(١) نحوه في «الأسرار المرفوعة»: (ص ٣٦٠) للمصنف و «كشف الخفاء»: (٤٣١/٢).

نعم، خلود المؤمن لا ينافي الفضل لكن قوبل بحسن نية المؤمن، منْ أنّهُ لو عاش أبد الآباد، لا يستمر على توحيد ربِّ العباد.

[فضيلة النية في الكتاب والسنة]

هذا، ومما يوضِّحُ لك فضيلة النية ما ورد في فضلها من الكتاب والسنة.

قال تعالى:

﴿ولا تطرد الذين [يدعون] ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾[1]. والمراد بتلك الإرادة: هي النية

وقال تعالى:

﴿وما أُمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدِّين﴾[2].

أي مخلصين الطاعة، بحسن النية.

وفي الحديث المتفق على صحته، وقد قال العلماء الاعلام هو ثُلثُ الإسلام:

---

(١) سورة الأنعام: آية رقم (٥٢) وما بين المعقوفتين سقط من المخطوط.

(٢) سورة البيّنة: آية رقم (٥).

«إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرتُه - أي نيته في هجرته - إلى الله وإلى رسوله فهجرته إلى الله ورسوله - أي: فهجرته مقبولة - ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه - أي هجرته مردودة عليه -»[1].

وروى أحمد من حديث ابن مسعود رضي الله عنه:

«أكثر شهداء أمتي أصحاب الفُرُش، وربَّ قتيل بين الصفين، الله أعلم بنيتهِ»[2].

وروى الدّارقُطني من حديث أنس - رضي الله عنه - بإسناد حسنٍ:

«إنّ العبد ليعمل أعمالاً حسنةً فتصعد بها الملائكة في صحفٍ مختمة فتلقى بين يدي الله فيقول:

ألقوا هذه الصحيفة، فإنها لم يُرَدْ بما فيها وجهي.

ثم ينادي الملائكة: اكتبوا له كذا وكذا.

---

(١) مضى تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند»: (٣٩٧/١).

واسناده ضعيف، فيه عبدالله بن لهيعة.

انظر: «تخريج أحاديث الإحياء»: (٣٦٢/٤) و «ضعيف الجامع الصغير»: رقم (١٤٠٤).

فيقولون: يا ربّنا إنه لم يعمل شيئا من ذلك.

فيقول الله تعالى: إنّه نواه، إنه نواه»[1]

وكذلك في حديث أنس رواه البخاري وغيرهُ لما خرج رسول الله ﷺ في غزوة تبوك قال:

«إن بالمدينة أقواماً، ما قطعنا وادياً ولا وطئنا موطئاً يغيظ الكفار، ولا أنفقنا نفقةً، ولا أصابتنا مخمصة، إلا شركونا في ذلك وهم بالمدينة قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا! قال: حبسهم العذر، فشركونا بحسن النية»[2].

وروى أبو داود باسنادٍ جيد من حديث، أبي يعلى بن أمية أنه استأجر أجيراً للغزوة، وسمّى له ثلاثة دنانير، فقال النبي ﷺ: ما أجد له في غزوته هذه في الدنيا والآخرة إلا دنانيره التي سمّى[3].

---

(١) قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء»: (٣٦٣/٤):
«أخرجه الدارقطني من حديث أنس بإسناد حسن»

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح»: (٩٦١٨) من حديث أنس ابن مالك وأخرجه مسلم في «الصحيح» رقم (١٩١١) من حديث جابر بن عبدالله.

(٣) أخرجه أبو داود في «السنن»: كتاب الجهاد: باب في الرجل =

وفي حديث مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها:

أنّ النبي ﷺ ذكر جيشاً يُخْسَفُ بهم بالبيداء فقلتُ: يا رسول الله يكون فيهم المكره والأجير؟

فقال: يحشرون على نياتهم[1].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه رواه ابن ماجه:

«منْ تزوّج على امرأةٍ على صداقٍ وهو لا ينوي أداءه فهو زانٍ»[2]

= يغزو بأجير ليخدم: (١٧/٣) رقم (٢٥٢٧) وجعله من مسند «يعلى بن منية» وكذا وقع في «صحيح الجامع الصغير»: رقم (١٥١١).

وفي الأصل «ابن أمية» وكذا وقع في «مستدرك الحاكم»: (١١٢/٢) و «تحفة الأشراف»: (١١٦/٩) رقم (١١٤٨٢)، وهما واحد. و (منية) بضم الميم وسكون النون. وهي أمه، وقيل: أم أبيه، كما في «الاصابة»: (٦٦٨/٣) و «تحفة النبيه فيمن نسب الى غير أبيه» رقم (٦٠). والحديث صحيح.

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح»: (٢٢٠٨/٤).

(٢) أخرجه ابن ماجة في «السنن»: كتاب الصدقات: باب من ادآن ديناً لم ينو قضاءه: (٨٠٥/٢، ٨٠٦) رقم (٢٤١٠) من = حديث صهيب بلفظ:

وفي حديث مرسل:

«مَنْ تطيّب لله جاء يوم القيامة وريحُه أطيب من المسك، ومنْ تطيبَ لغير الله جاء يوم القيامة وريحُه أنتن من الجيفةِ»[1].

= «أيما رجل يدين ديناً، وهو مجمع ألا يوفيه لقي الله سارقاً».

وهذا غير لفظ المصنف، وهو عند غيره بلفظ:

«أيما رجل تزوج امرأة فنوى أن لا يعطيها من صداقها شيئاً. مات يوم يموت، وهو زان»

أخرجه الطبراني في «الكبير»: (٨/٤٠، ٤١) رقم (٧٣٠١) و (٧٣٠٢) وأحمد في «المسند»: (٤/٣٣٢).

وقال الهيثمي في «المجمع»: (٤/٢٨٤): «في إسناد أحمد رجل لم يسم، وفي إسناد الطبراني من لم أعرفهم»

وقلت: وفي سنده في الطريق الثانية عمرو بن دينار وهو متروك، كما في «الترغيب والترهيب». (٣/٣٤) و «المجمع»: (٤/١٣١). فالحديث ضعيف جداً، كما في «ضعيف الجامع: (٢٢٣٥).

(١) قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء»: (٤/٣٦٤):

«أخرجه أبو الوليد الصفار في كتاب «الصلاة» من حديث اسحاق ابن أبي طلحة مرسلاً».

[المعاصي لا تتغير عن موضوعاتها بالنية]

ثم إن علِمَ أن المعاصي لا تتغير عن موضوعاتها بالنيّة، فلا ينبغي أن يفهم الجاهلُ ذلك من عموم قوله ﷺ:

«إنما الأعمال بالنيات»[1].

فيظنّ أنّ المعصيةَ تنقلب طاعةً بالنية، كالذي يغتاب إنساناً مراعاةً لقلب غيره، أو يطعم فقيراً منْ مال غيره، أو يبني مدرسةً أو مسجداً أو رباطاً بمال حرامٍ، وقصده به الخير[2].

وهذا كله جهل والنيّة لا تؤثر في إخراجه عن كونه ظُلماً وعدواناً ومعصيةً، بل قصده الخير بالشر على خلاف مقتضى الشرع شرٌّ آخر، فانْ عرفه فهو مغايرٌ للشرع، وإن جهله فهو عاصٍ، بجهله إذ:

---

(١) مضى تخريجه.

(٢) من الشائع عند عوام زماننا: مصافحة المرأة الأجنبية مراعاة لقلبها!! أو بحجة أن المصافح لا يقصد شيئاً، وهو من الباب الذي ذكره المصنف، فذكرته عسى أن ينتفع به القارىء الوقاف عند حدود الله تعالى ﴿ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾ (البقرة: ٢٢٩) ﴿ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه﴾ (الطلاق: ١).

«طلب العلم فريضةٌ على كل مسلم»[1].

والخيرات إنما تعرف كونها خيرات بالشرع، فكيف يمكن أن يكون الشرُّ خيراً؟

هيهات!!

ولذلك قال بعضُ علمائنا: مَنْ تصدق بمال حرام ويرجو الثواب كفر، وإذا علم الفقيرُ بذلك ودعا له كفر أيضا[2].

[خطورة الشهوة والهوى]

وإنما المروِّج لذلك على القلب خفي الشهوة، وباطن الهوى، فإنّ القلب إذا كان مائلاً إلى طلب الجاه، واستمالة قلوب الناس، وسائر حظوظ النفس، توسل

(١) قال المزي: إن له طرقاً يرتقي بها إلى درجة الحسن، كما في «المقاصد الحسنة»: (ص ٤٢٤).

وقال السيوطي: وقد تتبعتها فوقع لي منها نحو خمسين طريقاً.

ونقل المناوي عنه قوله: «جمعت له خمسين طريقاً، وحكمت بصحته لغيره، ولم أصحح حديثاً لم أسبق لتصحيحه سواه»!

انظر طرقه وتخريجها في «جزء فيه طرق حديث طلب العلم فريضة» للسيوطي، بتحقيق أخينا الفاضل علي حسن عبدالحميد حفظه الله، نشر وتوزيع دار عمار. =

الشيطانُ إلى التلبيس على الجاهل، وكذلك قال سهل:

ما عُصيَ اللهُ بمعصية أعظم من الجهل!

قيل: يا أبا محمد هل تعرف شيئاً أشد من الجهل؟

قال نعم، الجهل بالجهل[1].

= (٢) قال المصنف في «شرح ألفاظ الكفر»: مسألة رقم (٩٧ ـ بتحقيقنا).

«وفي المحيط»: من تصدق على فقير شيئاً من الحرام، يرجو الثواب كفر.

وفيه بحث، لأن من كان عنده مال حرام، فهو مأمور بتصدقه على الفقراء، فينبغي أن يكون مأجوراً بفعله، حيث قام بطاعة الله وأمره، فلعل المسألة موضوعة في مال حرام يعرف صاحبه، وعدل عنه إلى غيره في عطائه، لأجل سمعته وريائه، كما كثر هذا في سلاطين الزمان وأمرائه.

وفي «الخلاصة»: أو علم الفقير أنه من الحرام، ودعا له، وأمّن المعطي، كَفَرا.

وفي «الظهيرية»: دفع إلى فقير من الحرام، يرجو الثواب كفر، ولو علم الفقير ودعا له بعد العلم بتحريمه، وأمّن من أعطى كَفَرَا جميعاً.

أي: لأن الدعاء والتأمين: إنما يكونا في ارتكاب الطاعة ومال الحلال، دون المعصية وارتكاب الحرام. فتأمل في المقام، يظهر لك المرام، فإن المعطي قد يريد بعطائه هذا تخليصه من آثام الأنام يوم القيامة» انتهى.

(١) ذكره الغزالي في «الإحياء»: (٣٦٩/٤).

قال حجة الإسلام[1]:

وهو كما قال لأن الجهل بالجهل يسد بالكلية باب التعلمِ، فمنْ يظنّ نفسه أنه عالم فكيف يتعلم؟

[مدح العلم وذم الجهل]

وكذلك أفضل ما أُطِيعَ اللهُ به العلم، ورأس العلم: العلمُ بالعلم، كما أن رأس الجهل: الجهل بالجهل، فإن[2] مَنْ لا يعلم العلمَ النّافع من العلم الضار اشتغل بما أكب عليه الناس مِنَ العلوم المزخرفةِ التي هي وسائلهم[3] إلى الدنيا، وذلك هو مادة الجهل ومنبع فساد العالم[4]، والمقصود أنّ مَنْ قصد الخير بمعصية عن جهل فهو غير معذورٍ، إلا إذا كان قريب العهد بالإسلام، ولم يجد بعد مهلةً للتعلم.

قال تعالى:

﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾[5].

---

(١) في «الإحياء»: (١٠/٣٦٩)

(٢) في المخطوط: «وإن».

(٣) في المخطوط: «من وسائلهم».

(٤) في المخطوط: «العلم».

(٥) سورة الأنبياء: آية رقم (٧).

وقال النبي ﷺ: «لا يعذر الجاهل على الجهل»[1].

ولا يحل[2] للجاهل أن يسكت على جهله، ولا للعالم أن يسكت على علمه[3].

[علماء السوء]

وَيقربُ مِنْ تَقَرُّب السلاطين[4] ببناءِ المساجد والمدارس بالمال الحرام: تقرُّب علماء السوء بتعليم العلم للسفهاء والأشرار، والمشغولين بالفسق والفجور، القاصرين[5] همهم على مماراة العلماء ومجادلة السفهاء[6] واستمالة

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من المخطوط.

(٢) في المخطوط: «فلا».

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» كما في «المجمع»: (١٦٤/١، ١٦٥) وابن السني وأبو نعيم في «رياض المتعلمين» من حديث جابر بسند ضعيف، دون قوله: «لا يعذر الجاهل على الجهل» وقال: «ولا ينبغي» بدل «ولا يحل»، قاله العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء». (٣٦٩/٤).

وقال الهيثمي: «فيه محمد بن أبي حميد، وقد أجمعوا على ضعفه».

(٤) في المخطوط: «وتقرب من تقرب من السلاطين...» والمثبت من «الإحياء».

(٥) في المخطوط: «والقاصرين».

(٦) في «الإحياء»: «ومباراة السفهاء».

وجوه الناس وجمع حطام الدنيا وأخذ أموال السلاطين واليتامى المساكين فإنّ هؤلاء إذا تعلموا كانوا قطاع طريق الله، وانتهض كل واحدٍ [منهم][1] من بلدته نائباً عن الدجال، يتكالب على الدنيا ويتبع الهوى، ويتباعد عن التقوى ويستجرىءُ الناسُ بسببِ مشاهدته على حب الدنيا[2]، ثم قد ينتشر [ذلك][3] العلم إلى مثله وأمثاله ويتخذونه أيضا آلةً ووسيلةً [في][4] الشر وأنواع المعاصي، ويتسلل [ذلك][5] ووبالُ جميعه يرجع إلى المعلم الذي علَّمه العلم مع علمه بفساد نيته وقصده ومشاهدته أنواع المعاصي من أقواله وأفعاله وفي مطعمه ومشربه وملبسه ومسكنه [ومكتسبه][6] فيموت هذا العالم وتبقى آثار شرِّه منتشرةً في العالم ألف سنةٍ - مثلاً [وألفي سنة][7] - وطوبى لمن [إذا][8] مات ماتت معه ذنوبه.

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.
(٢) في «الإحياء»: «بسبب مشاهدته على معاصي الله تعالى».
(٣) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.
(٤) في المخطوط: «إلى».
(٥) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.
(٦) ما بين المعقوفتين غير موجودة في مطبوع «الإحياء».
(٧) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.
(٨) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

ثم العجب من جهله حيث يقول: «إنما الأعمال بالنيات»[1].

وقد قصدت بذلك نشر [علم][2] الدين، فإن استعمله هو في الفساد فالمعصية منه لا مني، وما قصدت به إلا أن يستعين به على الخير.

وإنما حبُّ الرياسة والاستتباع والتفاخر بعلو العلم يحسن ذلك في قلبه، والشيطان بواسطة الرياسة يلبس عليه.

وليت شعري ماجوابه عمن وهب سيفاً لقاطع الطريق وأعد له خيلاً وأسباباً يستعين بها على مقصوده، ويقول: إنما أردت البذل والسخاء والتخلق بأخلاق الله تعالى[3]، وقصدت به أن يغزو بهذا السيف والخيل في سبيل الله،

---

(١) مضى تخريجه.
(٢) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

(٣) قرر ابن القيم أن عبارة «التخلق بأخلاق الله» عبارة غير سديدة وأنها منتزعة من قول الفلاسفة بالتشبه بالإله على قدر الطاقة، وقال: وأحسن منها: عبارة أبي الحكم بن برهان: وهي التعبد، وأحسن منها: العبارة المطابقة للقرآن، وهي الدعاء المتضمن للتعبد والسؤال. فمراتبها أربعة، أشدها إنكاراً عبارة الفلاسفة وهي التشبه، وأحسن منها عبارة من قال: التخلق، =

فإن إعداد الخيل والرّباط والقوة للغزاة في سبيل الله من أفضل القُرباتِ، فإن هو صرفه إلى قطع الطريق فهو العاصي وقد أجمع الفقهاء على أن ذلك حِرام، مع أن السخاء هو أحب الأخلاق إلى الله تعالى!

فليت شعري لم حرم هذا السخاء، ولم وجب عليه أن ينظر إلى قرينة الحال من هذا الظالم، فإذا لاح له من عادته أنه يستعين بالسّلاح على الشر، فينبغي أن يسعى في سلب سلاحه لا أن يمدّه بغيره.

والعلم سلاح يُقاتل به الشيطان وأعداء الله، وقد يعاون به أعداء الله وهو الهوى، فمن لا يزال مؤثراً الدنيا على دينه ولهواه على آخرته، وهو عاجزٌ عنها لقلة فضله، فكيف يجوز إمداده بنوع علمٍ يتمكن به من الوصول إلى شهواته؟

[تفقد علماء السلف أحوال من يتردد إليهم]

بل لم يزل علماء السلف - رحمهم الله - يتفقدون

= وأحسن منها عبارة من قال: التعبد. وأحسن من الجميع: الدعاء، وهي لفظ القرآن.

انظر: «بدائع الفوائد»: (١٦٤/١) و «عدة الصابرين»: (ص ٣٦) و «معجم المناهي اللفظية» رقم (١٨٨) للشيخ بكر أبو زيد.

أحوال من يتردد إليهم، فلو رأوا منه تقصيراً في نفل من النوافل أنكروه وتركوا إكرامه، وإذا رأوا منه فجوراً واستحلال حرام هجروه ونفوه عن مجالسهم، وتركوا تكليمه فضلاً عن تعليمه[1] وقد تعوَّذ جميع السلف [بالله تعالى][2] من الفاجر العليم [بالسنة][3] وما تعوذوا من الفاجر الجاهل، وحكي عن بعض أصحاب أحمد بن حنبل أنه كان يتردد إليه سنين، ثم اتفق أن أعرض عنه أحمد وهجره، وصار لا يكلمه، فلم يزل يسأله عن تغيره عليه وهو لايذكره حتى قال:

بلغني أنك طَيَّنْتَ حائطَ داركَ من جانب الشارع، فقد أخذت قدر سمك الطين من الطريق، وهو أنملة من شارع المسلمين فلا تصلح لتعلم العلم.

قال الإمام حجة الإسلام[4]:

فهكذا كانت مراقبة السلف لأحوال طلبة العلم. فهذا

---

(١) في «الإحياء»: (٤/٣٧٠) زيادة: «لعلمهم بأن من تعلم مسألة ولم يعمل بها، وجاوزها إلى غيرها فليس يطلب إلا آلة الشر».

(٢) ما بين المعقوفتين من «الإحياء».

(٣) ما بين المعقوفتين من «الإحياء».

(٤) في «الإحياء»: (٤/٣٧٠).

وأمثاله مما يلتبس على الأغبياء وأتباع الشيطان وإن كانوا أرباب الطيالسة والأكمام الواسعة وأصحاب الألسنة الطويلة والفضل الكثير، أعني الفضل من العلوم التي لا تشتمل على التحذير من الدنيا والزجر عنها والترغيب في الآخرة والدعاء إليها، بل هي العلوم التي تتعلق بالخلق ويتوصل بها إلى جمع الحطام واستتباع الناس والتقدم على الأقران.

[معنى قوله ﷺ: «الأعمال بالنيات»]

فإذاً معنى قوله ﷺ: «الأعمال بالنيات»

يختص من الاقسام الثلاثة بالطاعات والمباحات دون المعاصي، إذ الطاعة تنقلب معصيةً بالقصد، وتكون طاعةً بالقصد، والمباح ينقلب معصيةً وطاعةً بالقصد، وأما المعصية فلا تنقلب طاعةً بالقصد أصلاً، نعم للنيّة دخل فيها، وهو أنه إذا انضاف إليها قصدُ نية خبيثة تضاعف وزرها وعَظُمَ وبالها، وأما الطاعات فهي مرتبطة بالنيات في أصل صحتها، وفي تضاعف فضلها.

أما الأصل: فهو أن ينوي بها عبادة الله لا غير، فإن نوى الرياء صارت معصية.

وأما تضاعف الفضل: فبكثرة النيات الحسنة، فإن

الطاعة الواحدة يمكن أن ينوي بها خيراتٍ كثيرة . فيكون له بكل نيةٍ ثواب ، إذ كل واحدةٍ منها حسنة ، ثم تضاعف كل حسنة عشر أمثالها .

قلت : وهذا أحد الوجوه التي ترجح النيّة على العمل.

[مثال على طاعة تحتمل نيات كثيرة]

ومثاله : القعود في المسجد فإنه طاعة ويمكن أن ينوي فيه نياتٍ كثيرةً(1) :

أولها : أن يعتقد أنه بيت [الله](2) وأن داخله زائر الله ، فيقصد به زيارة مولاه ، رجاء لِمَا وعد به رسولُ الله ﷺ حيث قال :

«مَنْ قعد في المسجد فقد زار الله تعالى ، وحقٌّ على المزور إكرام زائره» رواه البيهقي وغيره(3) .

---

(1) في «الإحياء» زيادة «حتى يصير من فضائل أعمال المتقين ، ويبلغ به درجات المقربين».

(2) ما بين المعقوفتين من «الإحياء».

(3) أخرجه موقوفاً على سلمان الفارسي :

• أبو عبيد في «الطهور» رقم (٦) و (٩) بتحقيقي وابن أبي شيبة في «المصنف»: (٣١٩/١٣). وهناد في «الزهد»: (٤٧١/٢) رقم =

وثانيها: أن ينتظر الصلاة بعد الصلاة فيكون في جملة انتظاره في الصلاة وهو معنى قوله تعالى: ﴿ورابطوا﴾[1].

وثالثها: الترهب بكفِّ السمع والبصر والأعضاء عن الحركات والترددات، فإن الاعتكاف كفٌّ [وهو معنى الصوم] وهو نوع ترهب، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «رهبانيةُ أمتي القعود في المساجد»[2].

= (٩٥٢) والبيهقي كما قال المنذري في «الترغيب والترهيب»: (١٣٠/١).

ورفعه بعضهم كما في «المعجم الكبير»: (٢٥٣/٦-٢٥٥) رقم (٦١٣٩) و (٦١٤٥) و «جزء من حديث السلفي»: (١٧/أ) و «أمالي ابن بشران»: (١٥٣/أ) و «معجم ابن جميع»: رقم (٢٩٦) و «حديث ابن الصلت عن أبي بكر المطيري»: (ورقة ٧٦/أ).

قال الهيثمي في «المجمع»: (٣١/٢): «رواه الطبراني في «الكبير» وأحد إسناديه رجاله رجال الصحيح».

والحديث - مرفوعاً - صححه الشيخ الألباني في «سلسلته الصحيحة» رقم (١١٦٩).

(١) سورة آل عمران: آية رقم (٢٠٠).

(٢) سيأتي الكلام عليه.

ذكره الإمام لكن قال العراقي: لم أجد له أصلاً[1].

ورابعها: عكوف الهم على الله، ولزومُ السرِّ للفكر في الآخرة، ودفع الشواغل الصارفة عنه بالاعتزال إلى المسجد.

وخامسها: التجرد لذكر الله أو لاستماع ذكره وللتذكر به.

وسادسها: أن يقصد به إفادة علم، بأمر بمعروف ونهي عن منكر، إذ المسجد لا يخلو عمن يسيء في صلاته أو يتعاطى مالا يحل[2].

وسابعها: أن يستفيد أخاً في الله، فإنها غنيمة، وذخيرة للدار الآخرة، والمسجد معشش[3] أهل الدين المحبين لله تعالى وفي الله.

---

(١) كذا في «تخريج أحاديث الإحياء»: (٣٧١/٤) وتابعه على مقولته هذه: السويدي في «الاعتبار في حمل الأسفار»: (لوحة ١٥/أ).

(٢) في «الإحياء»: (٣٧١/٤): «... ما لا يحل له، فيأمره بالمعروف ويرشده إلى الدين، فيكون شريكاً معه في خيره الذي يعلم منه، فتتضاعف خيراته».

(٣) تقول العرب: عشش الطائر: اتخذ عشاً، والمعنى: أن المسجد منزل أهل الدين راجع مادة «عش» في «معجم مقاييس اللغة»: (٤٤/٤).

وثامنها: أن يترك الذنوب حياءً من الله وخشيةً[1] من أن يتعاطى في بيت الله ما يقتضي هتك الحرمة.

فهذا طريق تكثير النيات فَقِسْ به سائر الطاعات والمباحات،إذ ما من طاعةٍ إلا وتحتمل نياتٍ كثيرةً، وإنما تحضر في قلب العبد بقدر جده في طلب الخير وتشميره له وتفكره فيه، فبهذا تزكو الأعمال، وتتضاعف الحسنات.

[المباحات تصير من القربات إن صحبتها نيَّةٌ حسنة]

وأما المباحات فما من شيء منها إلا ويحتمل أنه نية أو نيات يصير بها من محاسنِ القُربات، وينال بها معالي الدرجات،فما أعظم خُسران من يغْفل عنها!ويتعاطاها تعاطي البهائم المهملة عن شهوة وغفلة[2]، ولا ينبغي أن يستحقر العبد الخطرات والخطواتِ واللحظات فكل ذلك يسأل عنه يوم القيامة لِمَ فعلها، وما الذي قصد بها؟

هذا في مباحٍ محضٍ لا يشوبه كراهة، لذلك قال ﷺ: «حلالها حساب وحرامها عقاب»[3].

---

(١) في «الإحياء»: «وحياء».

(٢) في مطبوع «الإحياء»: (٤/٣٧١): «عن سهو وغفلة».

(٣) في «المخطوط»: «... وحرامها عذاب» وكذا في =

[مثال على مباحٍ يصير من القربات بالنية الحسنة]

فمن تطيب مثلاً يوم الجمعة، وفي سائر الأوقات يتصور أن يقصد به التنعم بلذات الدنيا، أو يقصد إظهار التفاخر بكثرة المال ليحسده الأقران، أو يقصد به رياء الخلق ليقوم له الجاه في قلوبهم ويُذْكَر بطيب الرائحة، أو ليتودد به إلى قلوب النساء الأجنبيات، إذا كان مستحلاً للنظر إليهن، ولأمورٍ أخرى لا تحصى وكل هذا يجعل التطيب معصيةً، فبذلك يكون أنتن من الجيفة يوم القيامة إلا القصد الأول وهو التلذذ والتنعم، فإن ذلك ليس بمعصية إلا أنه يسأل عنه:

و«من نوقش الحساب عذب»[1].

= «الإحياء»: (٣/٢٢٠) إلا أنه وقع فيه (٤/٣٧١): «وحرامها عقاب».

قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء»: (٣/٢٢٠):

«أخرجه ابن أبي الدنيا [في «ذم الدنيا»: رقم (١٧)] والبيهقي في «الشعب» من طريقه موقوفاً على علي بن أبي طالب بإسناد منقطع بلفظ: «وحرامها النار» ولم أجده مرفوعاً».

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»: (١١/٤٠٠) رقم (٦٥٣٦) و (٦٥٣٧) ومسلم في «الصحيح»: (٤/٢٢٠٤) رقم (٢٨٧٦) وابن المبارك في «الزهد»: رقم (١٣١٨). وابن حبان في «الصحيح»: (٩/٢٣١ ـ الإحسان) وأحمد في المسند: (٦/٤٧، ٤٨، ٤٩، ١٠٨، ١٢٧، ١٨٥، ٢٠٦).

ومَنْ أتى شيئا من مباح الدنيا لم يعذب عليه في الآخرة، ولكنه ينقص له من نعيم الآخرة بقدره ولذا ورد:

«مَنْ أحبّ آخرته أضرّ بدنياه، ومن أحب دنياه أضر بآخرته، فآثروا ما يبقى على ما يفنى»[1]

وفي الحديث:

«أجوعكم في الدنيا أشبعكم في الآخرة، وربّ كاسيةٍ [في] الدنيا عاريةٍ في العقبى»[2].

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند»: (٤١٢/٤) وابن حبان في «صحيحه»: رقم (٤٠٧ ـ موارد) وابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا»: (٨).

والحاكم في «المستدرك»: (٣٠٨/٤، ٣١٩) والبغوي في «شرح السنة» رقم (٤٠٣٨) وصححه الحاكم، وتعقبه الذهبي فقال: «فيه انقطاع»

قلت: لأن المطلب بن حنطب لم يسمع من أبي موسى الأشعري.

فالحديث إسناده ضعيف، وضعفه الشيخ الألباني في «المشكاة» رقم (٥١٧٩) و «ضعيف الجامع الصغير» رقم (٥٣٤٠).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية»: (٣٤٦/٣) والطبراني في «الكبير»: (٢٦٧/١١) رقم (١١٦٩٣) بلفظ: «إن أهل الشبع في الدنيا هم أهل الجوع في الآخرة غداً» =

وناهيك خسراناً بأن يستعجل ما يفنى، ويخسر زيادة نعيمٍ لا يفنى.

وأما النيات الحسنة في التطيب فبأن ينوي به اتباع سنة النبي ﷺ يوم الجمعة، وأن ينوي تعظيم المسجد واحترام بيت الله، فلا يرى أن يدخله زائراً لله إلا طيب الرائحة، وأن يقصد به ترويح جيرانه ليستريحوا به في المسجد عند مجاورته بروائحه.

وأن يقصد به دفع الروائح الكريهة عن نفسه التي تؤدي إلى إيذاء مخالطيه ودفع غيبة المغتابين بالروائح الكريهة[1] لما ورد:

= وفيه يحيى بن سليمان الحفري، وهو ضعيف.

وضعف إسناده العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء»: (٨٢/٣).

ولكن لهذا الشطر شواهد عديدة، منها حديث أبي جحيفة: «إن أكثر الناس شبعاً في الدنيا أكثرهم جوعاً في الآخرة».

وهو حسن، مخرج في «السلسلة الصحيحة» رقم (٣٤٣).

وللشطر الأخير: «ورب كاسية في الدنيا عارية في العقبى» شاهد من حديث أم سلمة عند البخاري في «الصحيح»: (٢٠/١٣) رقم (٧٠٦٩) بلفظ «رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة».

(١) أي: أن يقصد من استعماله للطيب حسم باب الغيبة عن المغتابين، إذا اغتابوه بالروائح الكريهة، فيعصون الله بسببه.

«اتقوا مواضعَ التهم»[1].

فيعصون الله بسببه، فمن تعرض للغيبة وهو قادر على الاحتراز منها فهو شريك له في تلك المعصية، قال الله تعالى:

﴿ولا تسبُّوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾[2]

أشار به إلى أن التسبب إلى الشر شرٌّ، وأن يقصد به معالجة دماغه لتزيد به فطنته وذكاؤه ويسهل عليه درك مهمات دينه بالفكر، فقد قال الشافعي رحمه الله:

«من طاب ريحه زاد عقله»[3].

---

(١) قال المصنف في «الأسرار المرفوعة» رقم (١٠):

«هو معنى قول عمر: «من سلك مسالك التهم اتهم» رواه الخرائطي في «مكارم الأخلاق». عن عمر موقوفاً بلفظ «من أقام نفسه مقام التهم فلا تلومن من أساء الظن به» انتهى.

قلت: قال العراقي في المرفوع في «تخريج أحاديث الإحياء»: (٣٦/٣) لم أجد له أصلاً.

وكذا قال السبكي في «الطبقات»: (١٦٢/٤) وشيخنا في «السلسلة الضعيفة» رقم (١١٣).

(٢) سورة الأنعام: آية رقم (١٠٨)

(٣) ذكره الغزالي في «الإحياء»: (٣٧٢/٤)

فهذا وأمثاله من النيات لا يعجز الفقيه عنها إذا كانت تجارةُ الآخرة وطلبُ الخير غالبةً على قلبه، وإذا لم يغلبْ على قلبه إلاّ نعيم الدنيا لم تحضره هذه النيات، وإن ذكرت له لم ينبعث لها قلبه فلا يكون معه منها إلا حديث النفس، وليس ذلك من النيّة في شيء.

والمباحات كثيرة ولا يمكن إحصاء النيّات فيها، فَقِسْ بهذا الواحد غيره.

ولهذا قال بعض العارفين من السلف:

إني لأستحبُّ أن يكون لي في كل شيء نيّة حتى في أكلي وشربي ونومي ودخولي إلى الخلاء[1] وكل ذلك مما يمكن أن يقصد به وجه الله لأن كل ما هو سبب لبقاء البدن وفراغ القلب من مهمات البدن فهو معينٌ على الدين، فمن كان قصده من الأكل التقوي على العبادة، ومن الوقاع تحصين دينه وتطييب قلب أهله والتوصل به إلى ولد يعبد الله تعالى، وتكثير أمة محمد ﷺ كان مطيعاً بأكله ونكاحه، وأعظم حظوظ النفس الأكل والوقاع وقصدُ الخير بهما غير ممتنع لمن غلب على قلبه همُّ الآخرة، وقد ورد في حديثٍ صحيحٍ:

---

(١) المرجع السابق.

«ومن أعطى لله، ومنع لله، وأحبّ لله، وأبغض لله، فقد استكمل إيمانه»[1].

[بيان أن النية غير داخلة تحت الاختيار]

قال الإمام[2]:

واعلمْ أن النيّة غير داخلة تحت الاختيار، والجاهل يسمع ما ذكرناه من الوصية بتحسين النية وتكثيرها مع

---

(١) أخرجه أبو داود في «السنن» رقم (٤٦٨١) والبيهقي في «الإعتقاد»: (ص ١٧٨، ١٧٩) والطبراني في «الكبير» رقم (٧٦١٣، ٧٧٣٧، ٧٧٣٨) والبغوي في «شرح السنة». (٥٤/١٣) من حديث أبي أمامة.

وإسناده حسن.

وفي الباب عن معاذ، عند: أحمد في «المسند»: (٤٣٨/٣) وفيه ابن لهيعة وسهل بن معاذ وزبان بن فائد، وهم ضعفاء.

وأخرجه من حديثه من طريق آخر:

الترمذي في «الجامع» رقم (٢٥٢١) وأحمد في «المسند»: (٤٤٠/٣) والحاكم في «المستدرك»: (١٦٤/٢) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي!

قلت: فيه سهل بن معاذ، لم يخرج له البخاري ولا مسلم، وفيه ضعف، كما في «التهذيب»: (٢٢٧/٤) والراوي عنه أبو مرحوم عبدالرحيم بن ميمون، وهو لين الحديث.

(٢) أي: الغزالي، وكلامه الآتي في «الإحياء»: (٣٧٣/٤).

قوله عليه الصلاة والسلام:

«إنما الأعمال بالنيات»[1].

فيقول عند تدريسه أو تجارته أو أكله: نويتُ أن أدرس لله أو اتّجِرَ لله أو آكل لله. ويظن أن ذلك نية، فهيهات! فإن ذلك حديث نفسٍ أو حديث لسانٍ أو فكرٍ أو انتقال من خاطر إلى خاطر، والنية بمعزلٍ من جميع ذلك.

وإنما النيّة انبعاث النفسِ وتوجهها وميلها إلى ما ظهر لها أنّ فيه غرضها إما آجلاً وإما عاجلاً.

والميلُ إذا لم يكن صراعُهُ واكتسابُهُ يكون بمجرد الإرادة فغيرُ مفيد، بل ذلك كقول الشبعان: نويت أن أشتهي الطعام وأميل إليه، وقول الفارغ: نويتُ أن أعشق فلاناً وأحبه وأعظمهُ بقلبي فذلك محال. ولذا امتنع جمعٌ من السلف عن جملة من الطاعات إذا لم تحضرهم النيّة فيها، وكانوا يقولون: ليس تحضرنا فيه نيّة حتى إن ابن سيرين لم يصلِّ على جنازة الحسن البصري وقال:

«لم تحضرني نيّة»[2]

(١) مضى تخريجه.

(٢) ذكره الغزالي في «الإحياء»: (٣٧٤/٤) والسيوطي في «منتهى الآمال في شرح حديث إنما الأعمال»: (ص ١٣٤).

ومات حماد بن أبي سليمان ـ وكان أحد علماء أهل الكوفة ـ فقيل للثوري: ألا تشهد جنازته فقال: لوكان لي نيّة لفعلت[1].

[أصل النية لغة ومعناها الإصطلاحي]

ثم اعلم أن النيّة أصلها «النوْية» فعله مِنْ «نوى» إذا قصد، فأبدلت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها، وأدغمت فهي بالتشديد وقد تخفف.

قال الرّاغب[2]: النية تكون مصدراً أو اسماً من «نويت» وهي: توجُّهُ القلب نحو العمل.

وقال البيضاوي: النية عبارة عن انبعاث القلب نحو ما يراه موافقاً لغرض من جلب نفع، أو دفع خير حالاً أو مآلاً، وخصها الشرعُ بالإرادة المتوجهة نحو الفعل ابتغاء لوجه الله تعالى[3].

فقلتُ:

وهي أصلٌ للإخلاص الذي عليه مدارُ الخلاص ونتيجة قلوب الخواص.

---

(١) المرجعان السابقان.

(٢) في «المفردات في غريب القرآن»: (ص ٥١٠).

(٣) ونقله عن البيضاوي: السيوطي في «منتهى الآمال»: (ص ٨٢).

فالنية هي: الإرادة الباعثة للأعمال المنبعثة عن المعرفة كشهوة الطعام الحاصلةِ من المعرفة بتحققه ودفعه الجوع الباعث لامتداد اليد إليه، فإنّ امتداد اليد إلى الطعام إنما هو بعد المعرفة بتحقق الطعام ومعرفة أنه دافعٌ للجوع، فلا تدخل النية تحت الاختيار فمن وطىء لغلبة الشهوة فأنى ينفعه قوله: أعني نويت به إقامة السنة أو تكثير الأمة.

وقال الإمام[1]:

اعلم أنّ النية هو انبعاث القلب يجري مجرى الفتوح من الله تعالى فقد تتيسّرُ في بعض الأوقات وقد تتعذر في بعضها، نعم من كان الغالب على قلبه أمرُ الدين تيسر عليه في أكثر الأحوال إحضار النيّة للخيرات، فإن قلبه مائلٌ بالجملةِ إلى أصل الخير، فينبعث إلى الفضائل[2] غالباً، ومن مال قلبهُ إلى الدنيا وغلبت عليه لم يتيسَّرْ له ذلك، بل لا يتيسر له في الفرائض إلا بجهدٍ جهيد.

[نية الناس في الطاعات]

وغايته أن يتذكر النار ويحذر نفسه عقابها، ونعيم

---

(١) في «الإحياء»: (٤/٣٧٤_٣٧٥).

(٢) في مطبوع «الإحياء»: «التفاصيل» وهي خطأ، فلتصحح.

الجنة ويرغِّبْ نفسه فيها، فربما تنبعث له داعية ضعيفة فيكون ثوابه بقدر رغبته ونيّته.

وأما الطاعة على نية إجلال الله تعالى لاستحقاقه الطاعة والعبودية فلا يتيسر للراغب[1] في الدنيا: وهذه أعزّ النيات وأعلاها، ويعز على بسيط الأرض من يفهمها فضلا عمن يتعاطاها، ونيات الناس في الطاعات أقسام: إذ منهم من يكون عمله إجابةً لباعث الخوف فإنه يتقي النار، ومنهم من يعمل إجابةً لباعث الرجاء، وهو الرغبة في الجنة.

وهذا وإن كان نازلاً بالإضافة إلى قصده طاعة الله وتعظيمه لذاته ولجلاله لا لأمرٍ سواه، فهو من جملة النيات الصحيحة، لأنه ميلٌ إلى الموعود في الآخرة، وإن كان من جنس المألوفات في الدنيا وأغلب البواعث باعث الفرج والبطن وموضع قضاء وطرهما الجنّة، فالعامل لأجل الجنة عامل لبطنه وفرجه - كالأجير السوء - ودرجته درجة البله، وإنه لينالها بعمله إذ:

«أكثر أهل الجنة البُله»[2]

---

(١) في الأصل: «على الراغب».

(٢) أخرجه البزار في «مسنده»: (٤١١/٢) رقم (١٩٨٣ - كشف الأستار) وابن عدي في «الكامل»: (١١٦٠/٣). =

وأما عبادة أولي الألباب فإنها لا تجاوز ذكر الله والفكر فيه حبّا لجماله وجلاله، وسائر الأعمال تكون مؤكدات وروادف،فهؤلاء أرفع درجة من أهل الإلتفات إلى المنكوح والمطعوم في الجنة، فإنهم لم يقصدوها [1] بل هم الذين يدعون ربّهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فقط، وثواب الناس بقدر نياتهم فلا جرم يتنعمون بالنظر إلى وجهه الكريم، ويسخرون ممن يلتفت إلى وجه الحور العين كما يسخر المتنعم بالنظر إلى الحور العين ممن يتنعم بالنظر إلى وجه الصور المصنوعة من الطين! بل

= وضعفه البزار. وقال ابن عدي: إنه منكر، وصححه القرطبي في «التذكرة» وتعقبه العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء»: (١٨/٣، ٢٣، ١٧٥) و (٣٣٥/٤).

والحديث ضعيف.

انظر: «الأسرار المرفوعة» للمصنف: رقم (٥٣) و «الميزان»: (١٨٣/٢) و «اللسان»: (٢٤٠/١) و «فيض القدير»: (٧٩/٢) و «المقاصد الحسنة»: (٧٤) و «كشف الخفاء»: (١٦٤/١) و «ضعيف الجامع الصغير» رقم (١٠٩٦).

(١) ذكر الله عز وجل في القرآن الكريم من صفات أهل الجنة في الدنيا فقال سبحانه: ﴿يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً﴾ [الأنبياء: ٩٠]. فدعاء الله وعبادته رغباً في الأجر والثواب والجنة ونعيمها، ورهباً من غضبه ومقته والنار وجحيمها من صفات المؤمنين، وعليه تعلم خطأ من يمنع ذلك.

أشدّ؛ فإنّ التفاوت بين جمال حضرة الربوبية وجمال الحور العين أشد وأعظم كثيراً من التفاوت بين جمال الحور العين والصور المصنوعة من الطين، بل استعظام النفوس البهيمية الشهوانية لقضاء الوطر من مخالطة الحسان وإعراضهم عن جمال وجه الله الكريم يضاهي عمى الخنفساء[1] عن إدراك جمال النساء[2]، بأنها لا تشعر به أصلاً ولا تلتفت إليه، ولو كان لها عقل وذكرن لها لاستخفت[3] عقل مَن يلتفت إليهن.

﴿ولا يزالون مختلفين إلا مَنْ رحم ربُّك، ولذلك خلقهم﴾[4].

---

(١) بضم الخاء ممدوداً، والفاء مفتوحة ومضمومة، والفتح أفصح وأشهر كما في «تحرير ألفاظ التنبيه»: (ص ١٦٨).

(٢) في «الإحياء»: (٣٧٥/٤): «... يضاهي استعظام الخنفساء لصاحبتها وإلفها لها، وإعراضها عن النظر إلى جمال وجوه النساء، فعمى أكثر القلوب عن إبصار جمال الله وجلاله يضاهي عمى الخنفساء عن إدراك جمال النساء».

(٣) في «الإحياء»: «لاستحسنت»!!

(٤) سورة هود: آية رقم (١١٨، ١١٩) وفي الأصل تبعاً «للإحياء»: (٣٧٥/٤): (ولا يزالون مختلفين - كل حزب بما لديهم فرحون - ولذلك خلقهم).

حكى أن أحمد بن خضرويه[1] رأى ربه في المنام فقال له :

كلّ الناس يطلبون مني الجنة إلاّ أبا يزيد فإنه يطلبني ، ورأى أبو يزيد ربّه في المنام فقال : «يارب كيف الطريق إليك ؟ فقال : اترك نفسك وتعال إلي .

ولهذا لما قيل له يا أبا يزيد ما تريد ؟ فقال : أريد أن لا أريد[2] .

ورؤي الشبلي بعد موته في المنام فقيل له : ما فعل الله بك ، فقال : لم يطالبني على الدعاوى بالبرهان إلا على قول واحد ، قلت يوماً : أي خسارةٍ أعظم من خسران الجنة ؟ فقال تعالى : أي خسارة أعظم من خسران لقائي . انتهى

---

(١) مذهب النحاة : فتح الواو وما قبلها وسكون الياء ثم الهاء ، والمحدثون ينحون به نحو الفارسية ، فيقولون : هم بضم ما قبل الواو وسكونها وفتح الياء وإسكان الهاء . انظر مقدمتنا لـ «من وافقت كنيته كنية زوجه من الصحابة» لابن حيويه (ص ٢٦ـ٢٧) .

(٢) ذكره المصنف في «شرح الفقه الأكبر» : (ص ٦٧) .

[آفات عدم تصحيح النيات]

واعلم أن عدم وصول المريد [1] إلى النهاية، لعدم تصحيح النية في البداية، فعدم الوصول لفقد الأصول.

ولهذا لما قدم الشيخ نجم الدين الكبري على شيخه وأراد أن يدخل الخلوة[1] في خدمته خطر بباله أنه عالم بالعلوم الظاهرة فإذا فتح له المعارف الباطنية[1] يكون فريد الزمان، ووحيد الأقران، فكشف[1] للشيخ نيّته، وعدم صحة طويّته.

فقال له: صحِّح النية بالهمة العلية. فخطر بباله أن هذه الخلوة قبري، فأعبد ربي فيها مُدةَ عمري، فإن الله ما خلقني إلا للعبادة وهي وسيلة لكل سعادة، فقال له الشيخ: أدخل الآن باسم الله، على بركة الله.

وعلى هذا نشاهد طلبة العلم، فإنهم متحيرون في طريق تحصيلهم، فتارة يتعلمون العلوم غير[2] النافعة في

---

(١) اصطلاحات صوفية، فكن على حذر منها.

وانظر في التصوف وحقيقة أمره: «التصوف بين الحق والخلق»، وكتابنا: «موقف القرطبي من التصوف والصوفية».

(٢) في الأصل «الغير» وهو خطأ، لأن غير إذا أضيفت لا تعرف.

الدنيا والآخرة لأغراض فاسدة كالتقرب للظلمة والتقدم على الرفعة، والغلبة في المجالس بالمجاملة وتحصيل المآكلة.

وتارةً يترقون إلى تعلم العلوم الدينية من التفسير والحديث والفروع الفقهية لمقاصد فيها مكاسب، بأن يصيرَ مدرساً أو واعظاً أو مفتياً أو قاضياً.

وجلّ مقصود الطائفتين هو المال والجاه لا إرادة الآخرة، وابتغاء وجه الله.

وكذا جماعة يجاورون الحرمين الشريفين ويلازمون على العبادات في المكانين المنيفين لأجل حطام الدنيا، لا لتحصيل ثواب العقبى، والحال أنّ مأكلهم ومشربهم وملبسهم من الحرام، فأنى تباح لهم الإقامة في ذلك المقام؟!

وقد قال الإمام الأعظم في زمانه الافخم المجاورة بمكة مكروهة، فلو أدرك زماننا هذا لقال بحرمتها:

شرطا أخذ الوظيفة والشكوى من علماء السوء

[فإن][1] قلت:

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

طالب العلم والعبادة محتاج إلى قوام البنية، فهل يجوز له أخذ الوظيفة؟

قلت:

نعم، لكن بشرطين:

أحدهما: أن يكون علمه وعمله لله، وانما يأخذ الوظيفة ليستعين بها على طاعة الله، ففرق بين من يعمل ليأخذ وبين من يأخذ ليعمل، فإن علامة الثاني أنه لو استغنى لم يترك العمل.

وثانيهما: أن يأخذ من وجهٍ يحلّ له أن يأخذه، أو يكون مضطراً فيأخذ مقدار الضرورة.

وقد قال بعض الأكابر: من وجد غنماً ميتاً لا يأكل من حمارٍ ميت، ومن وجد حماراً ميتاً، لا يأكل من كلبٍ ميت،ومن وجد كلباً ميتاً، لا يأكل من خنزير ميت.

والذي نشاهد الآن من علماء الزمان، ومشايخ الأوان: التهاوش على جيفة الدنيا والتناوش مع طلابها المشابهين بكلابها، في غاية القصوى، قائلين بلسان الحال، وإن أنكروا ببيان القال: الحلال ماحلّ بنا، والحرام ما حرمنا، ولهذا نقل عن العارف مولانا اسماعيل

الشِّرواني[1] : أنه من يوم حصلت الوظائف المحرمة في مكة المعظمة، ارتفعت مرتبة الولاية عن سكانها وغلبت الجهالة والبطالة على قطانها.

وهذا من المعلوم لأنه تعالى قال:

﴿كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً﴾[2].

---

(١) انظر ترجمته في: «شذرات الذهب»: (٨/٢٤٧).

(٢) سورة المؤمنون: آية (٥١).

[خاتمة]

فمجمل الكلام على وجه يظهر المرام: إن الخلق كلهم هلكى إلا العالمون، والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون، والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم.

ثم اعلم أن هذا زمان السكوت وملازمة البيوت، والقناعة بالقوت إلى أن تموت، طيب اللهُ أرزاقنا وحسن أخلاقنا ووفقنا لتحصيل العلم النافع، والعمل الصالح المقرونين بالإخلاص، وحسن الخاتمة التي هي مطلوبة العوام والخواص، وصلى الله على سيدنا محمدٍ وآله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين[1].

---

(١) انتهيت من التعليق عليه وتخريج أحاديثه من رأس القلم قبل عصر ١٥/ شعبان/ ١٤٠٩هـ من هجرة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا (أن الحمد لله رب العالمين).

الفهارس

فهرس الآيات
فهرس الاحاديث
فهرس الموضوعات

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة

فهرس المواضيع